

موقف أبو العباس المقرئ التلمساني من بعض القضايا السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م

The opinion of Abu Al-abbas Al-muqri Al-tlemceni from some political issues in Morocco during the (11c / 17m)

د. سفيان صغيري

جامعة الشهيد حمه لخضر — الوادي (الجزائر)

seghieri-soufaine@univ-eloued.dz

تاريخ القبول: 2023/01/31

تاريخ الإرسال: 2022/08/12

ملخص:

لم يكن أبو العباس أحمد المقرئ التلمساني بمنأى عن الأحداث السياسية التي وقعت في المغرب الأقصى خلال تواجده به خلال القرن 11هـ/17م، خاصة تلك التي تعلقت بالصراع على العرش بين أبناء المنصور الذهبي عقب وفاته مباشرة، فقد فرضت عليه الأحداث إبداء موقفه منها خاصة أنه كان على علاقة مع السلاطين ومكانته مرموقة بين السكان، وفي هذا المقال سوف نستعرض تلك الأحداث وما تعرض له المقرئ من فتن وتحديات، وموقفه من مختلف القضايا السياسية التي عاشها، والتي كانت سببا في الأخير لمغادرته المغرب متوجها إلى المشرق، حيث استقر هناك وتوفي.

الكلمات المفتاحية: أحمد المقرئ، المنصور الذهبي، السعديون، صراع العرش، العرائش.

Abstract:

Abu Al-abbas Al-muqri Al-tlemceni was not far from the political events that took place in the Morocco during his stay there during the (11c / 17m), especially those related to the struggle for the throne between the sons of Al-Mansur Al-Dhahabi immediately after his death, The events forced him to express his position on them, especially as he had a relationship with the sultans and a prominent position among the population.

In this article, we will review those events and what Al-Maqri was subjected to in terms of temptations and challenges, and his position on the various political issues that he lived through, which were the reason in the end for his leaving Morocco for the East, where he settled there and died.

keywords: Ahmad Al-maqri, Al-Mansur Al-Dhahabi, The Saadian, throne fight, Larache.

مقدمة:

كانت الأحداث السياسية التي أعقبت وفاة السلطان المنصور السعدي امتحانا حقيقيا لعلماء الجزائر المتواجدين في حواضر المغرب الأقصى، منهم العلامة أبو العباس أحمد المقرئ التلمساني، الذي كان حينها مقيما بحاضرة فاس، معاصرا للصراع الذي اندلع على العرش بين أبناء المنصور ومحاولتهم كسب الشرعية، خاصة أنه عاصر قضية العرائش وهي القضية التي امتحن فيها أبو العباس أحمد المقرئ بشكل مباشر فكان عليه تحديد موقفه منها، وتجاوز مخنته بعدها مع حاكم فاس عبد الله الشيخ.

وفي هذا المقال سوف نحاول الإجابة على الإشكالية التالية: كيف كان موقف العلامة أبو العباس المقرئ التلمساني من قضية العرائش، وكيف استطاع تجاوزها، وتجاوز الأحداث التي وقعت بعدها؟

سنعينا لتقديم الإجابة على الإشكالية المطروحة تفصيليا وضمنا في موضوع مقالنا وطبعاً لم يكن اختيارنا للموضوع بشكل عشوائي بل كان مقصودا ومرصودا، لعدة اعتبارات سوف نتطرق إليها في تفاصيل الموضوع، وقد استلزم ذلك اتباع المنهج السردى لتقديم الأحداث والتراجم، ولتوضيح المحطات التاريخية كان لزاما استعمال المنهج التاريخي، ووصفها بمنهجها، كما تطلب منا أيضا استخدام وتوظيف المنهج التحليلي لمزيد من بيان للمعلومات وتفسيرها بموضوعية.

تهدف الدراسة إلى التعرف على التأثير السياسي لعلماء الجزائر المهاجرين في المغرب الأقصى، مثل أبو العباس أحمد المقرئ وردود الأفعال من القضايا السياسية وطبيعة مواقفهم حولها رفضا أو قبولا أو حيادا، ونستعرض دورهم في الأحداث التي وقعت مشاركة أو تأثيرا.

وتكمن أهمية المقال في أنه يرصد مختلف القضايا السياسية في المغرب الأقصى، والتي لم يكن تأثيرها على سكان المغرب وعلمائه وإنما كانت أيضا مؤثرة على علماء الجزائر الذين استقروا هناك، وهو يرصد أحد أهم هؤلاء المهاجرين وهو العلامة أبو العباس أحمد المقرري والذي لم يكن تواجهه في المغرب مجرد تأثير فكري وتعليمي فقط، بل تأثير سياسي أيضا.

1- التعريف بأحمد المقرري التلمساني

1.1/ نسبه ومولده

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد القرشي التلمساني، المالكي، الأشعري، المقرري⁽¹⁾، شهاب الدين، فهو قرشي النسب ومغربي المولد⁽²⁾، يعود لقب المقرري إلى جده محمد المقرري المولود في قرية مقرة من قرى الزاب والتي انتقل منها إلى تلمسان⁽³⁾، اختلف في تاريخ ميلاده، والراجح أنه ولد في تلمسان عام 933هـ/1575م⁽⁴⁾.

2.1/ نشأته وتعليمه:

نشأ بتلمسان وتلقى تعليمه بها على يد عمه سعيد المقرري⁽⁵⁾ والعديد من علماء تلمسان الآخرين⁽⁶⁾، فيقول في ذلك: (بعدما نعمنا برهة من الزمان في ظلال الأمان وقطعنا نبذة من الشباب في موطن الأحباب ما بين دراسة ودراية ورواية... ومثول بين يدي أسيافهم بحالستهم نامية الفروس وخصوصا شيخهم الذي فضله لا يفتقر الى دلالة عمنا ومفتيها سيدي سعيد بن أحمد المقرري شكر الله خلاله)⁽⁷⁾.

رحل بعدها إلى المغرب الأقصى حيث درس بالزاوية الدلائية وتلمذ على يد شيخها محمد بن أبي بكر الدلائلي⁽⁸⁾ مدة من الزمن⁽⁹⁾، كما درس وأخذ الإجازة من عديد علمائها ومن أخذ عنهم أحمد بن القاضي⁽¹⁰⁾، والقصار⁽¹¹⁾، وابن النعيم⁽¹²⁾، وأحمد بابا التمبكتي⁽¹³⁾ وغيرهم⁽¹⁴⁾.

يعد أحمد المقرري من أشهر أعلام الجزائر في عصره⁽¹⁵⁾، فهو الأديب المؤرخ، الحافظ المتقن، الرحالة الموسوعي⁽¹⁶⁾، يقول عنه صاحب كتاب خلاصة الأثر: (حافظ المغرب

جاحظ البيان من لم يرى نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزة باهرة في الأدب والمحاضرات⁽¹⁷⁾.

3.1/ رحلاته:

خاض أبو العباس المقري درب الرحلة العلمية والحجية منها رحلتين إلى المغرب الأقصى⁽¹⁸⁾، حيث انطلق في رحلته الأولى سنة 1009هـ/1600م⁽¹⁹⁾، زار خلالها عدة مدن مغربية أهمها مراكش وأغمات⁽²⁰⁾ وفاس⁽²¹⁾، قبل العودة إلى تلمسان في أواخر سنة 1010هـ/1602م⁽²²⁾، وقد كانت هذه الرحلة الأولى التي دامت سنتين من الزمن مليئة بالأحداث، بداية بمجالسته للعلماء في حلقات العلم والمناظرة، واتصاله بالسلطان السعدي المنصور الذهبي⁽²³⁾ في مراكش⁽²⁴⁾.

أما رحلته الثانية فبدأها سنة 1013هـ/1604م، حيث اختلفت هذه المرة عن رحلته الأولى القصيرة التي كانت عبارة عن زيارة عابرة، فقد كانت رغبة المقري منها هو الإقامة والاستقرار في المغرب بشكل نهائي، وخلال مكوثه تطور وضعه وارتقت مكانته العلمية فأصبح خلالها من كبار علماء حاضرة فاس، وتصدر علماءها وأعلامها خاصة في القضاء والعدل والدين والجرية، صارت إليه الفتوى زمن المنصور الذهبي استمر بها حتى عهد خليفته وابنه زيدان⁽²⁵⁾، الذي اتصل به المقري، وولاه الإمامة والخطابة لجامع القرويين الشهير، فاستطاب به المقام في الحاضرة الفاسية حينما من الدهر وصل إلى خمس عشر سنة قبل أن يغادره إلى المشرق تاركا المنصب والوطن والأهل والخلان سنة 1027هـ/1617م⁽²⁶⁾ بعد ما حصل له من الحن والفتن ما لم يحصل له من قبل، الشيء الذي أجبره على خروجه من المغرب قاصدا أداء فريضة الحج سنة 1028هـ/1618م⁽²⁷⁾.

بعد زيارته بيت الله الحرام نزل بفلسطين ثم الشام، وبعدها حط رحاله بالقاهرة حيث قرر الاستقرار بها، وقد تزوج من بيت البكري⁽²⁸⁾، وخلال إقامته بها اشتغل بالنشاط العلمي مدرسا ومحدثا في مساجدها العامرة فاشتهر وذاع صيته في أرجائها وعظم شأنه بين الناس، بل إن صيته قد بلغ الآفاق في كل أقطار المشرق قاطبة، وشهدت مجالسه توافد العلماء والطلاب يتدارسون علمه الوافر ويستمعون إليه ويقروون منه وتبوء مكانة مرموقة

بين العلماء المشاركة وصار من أعلام عصره مغربا ومشرقا⁽²⁹⁾، ورغم أنه استقر بالقاهرة إلا أنه كان دائم الحركة والترحال حيث قصد بيت الله الحرام حاجا خمس مرات⁽³⁰⁾، وزار المدينة المنورة سبع مرات⁽³¹⁾، وقضى في المسجد الأقصى خمس وعشرين يوما ألقى فيه دروسا ثمانية وتعرف على علماء وأدباء فلسطين⁽³²⁾، وزار دمشق مرتين وكان له فيها قراءة لصحيح البخاري في جامع الأمويين على جمع غفير من الطلبة والعلماء، واجتمع عليه الناس بعامتها وأعيانها، وكان يوم ختمه له يوما مشهودا، ونال من الحظوة والمكانة ما لم ينله قبله من العلماء الواردين على دمشق، وكان ذلك في يوم 17 من شهر رمضان المعظم سنة 1039هـ⁽³³⁾، وعند عودته إلى مصر بعد زيارته الثانية إلى دمشق، حدثت له فتن ومصائب من وفاة ابنته وانفصاله عن زوجته⁽³⁴⁾، فانقلبت حياته إلى هم وغم وكدر بسبب غضب أهلها البكرين منه فنقموا منه وحرضوا الناس ضده، فانفضوا من حوله وقاطعوه⁽³⁵⁾.

4.1/ وفاته وآثاره:

بعدما تعرض المقرئ للمضايقة والمشاكل في القاهرة عزم على مغادرتها والتوجه إلى مكة للاستقرار بها ويكمل بقية حياته بجوار مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الأجل سبقه وحال دون تحقيق رغبته⁽³⁶⁾، اختلف في تاريخ وفاته لكن معظم مصادر ترجمته تذكر أن وفاته كانت سنة 1041هـ/1632م بالقاهرة ودفن بمقبرة المجارين بالقرافة بجوار مسجد الأزهر⁽³⁷⁾.

عرف المقرئ بغزارة تأليفه في مختلف العلوم والمعارف المنتشرة في عصره من العقيدة، وعلوم القرآن، والحديث، والتاريخ، والفقه، والأدب، والنحو، والتراجم، منها ما ذكرها إسماعيل البغدادي في هدية العارفين أهمها على الإطلاق موسوعة تاريخ الأندلس المعروفة بـ نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وروضة الآس العاطرة الأنفاس وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض⁽³⁸⁾.

2- موقف أبو العباس المقرئ من صراع العرش في المغرب الأقصى:

ونستعرض في هذا المبحث بعض المواقف والقضايا السياسية التي وقعت في المغرب الأقصى، وموقف المقرئ منها، منها قضيته مع أبناء المنصور المأمون الشيخ وعبدالله الشيخ.

1.2/ أحمد المقرئ وقضية العرائش (1019هـ/1610م):

• صراع أبناء المنصور وقضية العرائش

تعود أصول القضية إلى ما بعد وفاة السلطان المنصور الذهبي، حيث اجتمع في فاس أعيانها وكبرائها وأعلنوا مبايعة ابنه زيدان وليا للعهد وخليفته على كرسي الحكم السعدي في سنة 1012هـ⁽³⁹⁾، وما إن وصل خبر المبايعة إلى شقيقه أبو فارس حتى أعلن نفسه سلطان المغرب من مراكش الذي بايعه أهلها، فقام بإطلاق أخيه الآخر المأمون الشيخ المسجون زمن أبيه، ودفعه لمواجهة أخيه زيدان⁽⁴⁰⁾، وتمكن منه وهزمه وأخرجه من فاس، فتوجه بعدها زيدان إلى تلمسان، واستقر بها، بعدها دخل الشيخ فاس وأخذ بيعته من أهلها عنوة واستحكم بالعرش، واستباح المدينة وأهلها، وتمرد على أخيه الآخر أبو فارس وحاربه وتمكن منه وهزمه في مراكش، فأشاع الظلم والفواحش التي أنكرها الناس عنه⁽⁴¹⁾.

وفي وسط هذا الصراع والفوضى بين إخوة المنصور على السلطة، عاد زيدان مرة أخرى من تلمسان مجهزا بالجيوش، فانتصر واسترجع ملكه، ولاحق إخوته وطردهم من البوادي والمدن التي استولى عليها، فقتل أخاه أبو فارس، وانتصر على جيش المأمون الشيخ الذي كان يقوده ابنه عبد الله في موقعة أبي رقرق سنة 1603م، وأفلت منه شقيقه الآخر المأمون الشيخ فارا إلى منطقة العرائش ومنها إلى إسبانيا، طالبا المساعدة من ملك الاصبينول فيليب الثالث ضد أخيه⁽⁴²⁾، لكن هذا الأخير اشترط ضمانات لذلك ومقابل يجنيه من مساندته له، وكان الضمان أن احتجز أسرة وأولاد المأمون الشيخ عنده، وتسليم منطقة العرائش له، وفعلا مكن المأمون للنصارى الإسبان من مدينة العرائش فدخلوها وطردوا أهلها واستباحوها، فأثار ذلك حفيظة العلماء بأفعاله يقول في ذلك الأفراي: (ووقع في قلوب المسلمين من الامتناع من أخذ العرائش أمر عظيم وأنكروا ذلك أشد إنكار).

لقد كان لتسليم العرائش إلى الإسبان النصارى من طرف مأمون الشيخ السعدي أثر عظيم على الناس في شتى أرجاء المغرب الأقصى وحتى خارجه، وزاد غضبهم فخاف على نفسه من الفضيحة، وغضب العامة من الناس وخاصتهم من العلماء الذين امتنعوا عنه ولتبرير فعلته الشنيعة عمد إلى الحيلة والمراوغة، وأشاع بأن عملته كانت بالإكراه، ولا يلام

عمل عامل مكره ومجبر، وأرسل للعلماء يستفتيهم في الأمر، بأن فعله في تسليم العرائش للنصارى الإسبان كان لحماية أهله وأولاده، واستعادتهم منهم بعد أن احتجزهم الإسبان عندهم رهنا، وتركوه لذلك لافتدائهم، فهل يجوز أن يفتديهم بأرض العرائش أم لا^{(43)؟}.

فاختلف العلماء في الإجابة وإصدار الحكم والفتوى في هذه المسألة، خاصة مما عرف عن الحاكم من فساد في الأخلاق، وظلم للناس خاصة العلماء المخالفين له والذين لم يسلموا من قمعه وتنكيله، يقول أبي المحاسن العربي الفاسي⁽⁴⁴⁾: (وموه على الناس، بأعذار واهية، وبعث من يعرض ذلك على العلماء يأخذ موافقتهم ليدفع اللوم عن نفسه، فمنهم من لم يجد مندوحوه ومنهم من عصمه الله بالورع ..)، وعلى اثر ذلك انقسم العلماء إلى ثلاث فئات:

- فئة من العلماء أجازت له فعلته خوفا من بطشه، ومنهم الفقيه محمد بن قاسم بن القاضي، وقد انتقم منه العامة من الناس بعد مرور زمن على القضية، وقتلوه غدرا وهو قائم في مجلس تدريسه بالقرويين سنة 1040هـ/1631م⁽⁴⁵⁾.
- فئة من العلماء أنكرت عليه فعلته وخالفوه فيها، منهم أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن المعروف بالحاج الأغصاوي البقال، تعرض بسببها لانتقام السلطان، فقام جنود المأمون فأحضره وقتلوه ضربا ثم دفنوه بفاس بالطالعة الصغرى عام 1017هـ/1605م⁽⁴⁶⁾ فكانت معارضته سببا في قتله وإضعاف الزاوية الزروقية البقالية في شمال المغرب وفي فاس أيضا⁽⁴⁷⁾.
- الفئة الثالثة توارت عن الأنظار واختفت، معرضة عن إبداء رأيها قبولاً أو إنكاراً، في فتوى السلطان، منهم الإمام عبد الله محمد الجنان، وفضلوا الاختفاء، والتواري عن الأنظار حفظاً لأنفسهم واستبراءً لدينهم، حتى تصدر الفتوى من غيرهم⁽⁴⁸⁾.

● موقف أحمد المقرئ من القضية

اختار أبو العباس المقرئ موقف الفئة الثالثة مفضلاً للاختفاء والتواري عن الأنظار لحين مرور الفتنة بسلام، ويأتي موقف المقرئ من نظرتة الثاقبة للأحداث، ومعرفته البيئة لخبائيا السياسة والسلطة في المغرب الأقصى، نظرا لخبرته في معاشررة السلطان أحمد المنصور وأيضا لحكم الأتراك العثمانيين في تلمسان، وكذلك ما آلت إليه الأوضاع، وتطورات

الأحداث ومصير العلماء الذين شاركوا في الفتوى، والأذى الذي لحقهم من السلطان والعامّة على حد سواء، وكان منهم شيخه أبو القاسم محمد بن النعيم الذي قال عنه سابقاً: (التقيته واستفدت منه)⁽⁴⁹⁾، هذا الأخير الذي أكره على تغيير بيعته للسلطان زيدان إلى مبايعة أخيه المأمون الشيخ مكرها، وقد نجا أكثر من مرة من القتل، فقد كان ذو مكانة محترمة لدى الناس بالخصوص⁽⁵⁰⁾، وكذلك ما حدث من قتل وتنكيل للعلماء الذين ذكرناهم سابقاً، ورغم هذه الأحداث الدموية إلا أن أحمد المقرّي لم يغادر أرض المغرب حيث انتهت المسألة ومرت برداً وسلاماً عليه، وعاد المقرّي لحضرة فاس متصدراً الفتوى بشكل رسمي في القرويين، بعد وفاة شيخه محمد الهواري سنة 1022هـ⁽⁵¹⁾، وقد لاقى احترام الناس وقدره، بل حتى تقدير السلطان، خاصة بعد موقفه المشرف شرعاً، من مسألة العرائش⁽⁵²⁾.

2.2/ أحمد المقرّي وفتنة فاس وحاكمها الشيخ السعدي:

لم تنته محنة المقرّي مع انتهاء أزمة العرائش ونجاته منها، فقد اشتعلت فتنة أخرى أشد وأساء خاصة في فاس وأحوازها، خاصة مع استمرار صراع إخوة المنصور على العرش السعدي، والذي انعكست عليه بشكل مباشر هذه المرة وكانت سبباً في مغادرته بلاد المغرب باتجاه المشرق.

● قضية فتنة فاس وحاكمها الشيخ السعدي:

تعود فصول القضية إلى إقدام السلطان الشيخ السعدي على إتاحة وفتح مدينة فاس لقبيلة الشراقة فعاثوا فيها فساداً ونهباً وظلماً، فثار ضدهم أهل فاس تحت قيادة رجل يقال له سليمان بن محمد الشريف الزهوي وتمكن من إخراجهم من المدينة بالقوة وأبعدهم عنها وخلص الناس من شرهم⁽⁵³⁾، وتعرف هذه القبيلة أيضاً بقبيلة الحياينة، وقد اشتهرت بعمليات السطو على القوافل وقطع الطرق والنهب لاسيما في أطراف فاس وما جاورها وقد صدر في حقهم عديد الفتاوى التي تبيح قتالهم، على غرار فتوى الفقيه محمد بن أحمد ميارة والفقيه ابن قاسم بن سودة وغيرهم⁽⁵⁴⁾، ولأن أحمد المقرّي من تلمسان وله علاقة طيبة بالسلطان السعدي فإن الناس تكلموا فيه ولحقته شبهات الميل لهذه القبيلة البدوية

وأفرادها، وقد أشار بعض المؤرخين إلى هذه الاتهامات التي طالته بالميل إلى قبيلة شراقة التي كانت تستوطن حدود فاس حتى بادية تلمسان⁽⁵⁵⁾، ومنهم محمد حجي الذي يقول: (كان خروج المقرري من فاس بسبب اتهامه بالميل إلى قبيلة شراقة في فسادها أيام حكم السلطان محمد الشيخ السعدي، فارتحل المشرق عام 1027هـ/1617م)⁽⁵⁶⁾، وأما الفكون في "منشور الهداية" فيقول عن مغادرة المقرري فاس: (وبعد فساد بلد فاس، بتبدل دولها بين أولاد أميرها وتداعت للخراب، ارتحل عنها، يقال إنه عن خوف من الأمير الذي تولى إذ ذاك لكونه، فيما يقال له خلطة بالأمرء والانتماء، إلى بعض دون بعض)⁽⁵⁷⁾.

● موقف المقرري من القضية:

كان موقف المقرري هذه المرة من القضية هي مغادرة المغرب بشكل نهائي، فقد قرر المقرري الابتعاد عن الأمر ومغادرة أرض المغرب ناحية المشرق، وقد تعامل مع الأمر بحذر شديد كعادته في مثل هذه المواقف السياسية الصعبة والمشبوهة والمليئة بالأخطار، ولم يخض في تفاصيل الأحداث ولم يرد على شائعات الاتهام ولم يشر إليها بتاتا، بل إنه لم يذكرها حتى بعد المغادرة.

يقول في ذلك: (إنه لما قضى الملك الذي ليس لعيده في أحكامه تعقب أو رد ولا محيد عما شاء سواء كره ذلك المرء أو رد، برحلي من بلادي، ونقلتي عن محل طارفي وتلاذي بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محاسنه لو لا أنّ سماسة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا، وطما به بحر الأهوال فاستعملت شعراء العيث في كامل رونقه من الزحاف إضمارا وقطعا ووقصا)⁽⁵⁸⁾، وفي هذا المقطع لم يذكر تفاصيل ما حدث له شيئا، لا في السياسة ولا غيرها، وأطلق حكما عاما بالوضعية التي كان يعيشها المغرب الأقصى آنذاك من كثرة الفتن وتطاحن، مشيدا بمحاسنه، وسبب تركه مكرها وتسليما للأمر لله وقدره وقضائه، واتبع الشيخ أحمد المقرري عادة كبار علماء المغرب في طريقة التخلص من الوظائف السلطانية، باعتباره كان متوليا لوظيفة الفتوى، وذلك باعتذاره منها بطريقة دبلوماسية، وغير مباشرة، بعد أن طلب الإذن في الخروج للحج، وقد لقي موافقة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بن المأمون الشيخ⁽⁵⁹⁾، ليغادر عندها المغرب الأقصى نهائيا مصحوبا برسالة توصية من ملك المغرب المذكور إلى ملك الحجاز.

وقد جاء فيها: (... الرحلة الرواية، المحدث النحوي، البياني الأصولي، الكلامي التاريخي، الأدبي الإخباري، الحجة أبو العباس أحمد ابن الشيخ المرفوع المقدس، أبي عبد الله محمد المقرئ ... فإذا وصل جنابكم الرفيع، يؤمل عاطفة القبول، وحسن الصنيع، فاعمروا خزائن علومكم بجواهر كلماته المنضدة، وأنشروا على عساكركم ألوية طروسه المعقودة على جنود أسطره المجندة، وليس إلا مزيد التبيان، وما يغني الخبر عن العيان، ... فعسى أن يرجع إلينا هذا الفقيه البحر على أثره، ويضم عن طول الرحلة جناح سفره، ويشفي بابنا له من التبرح، ويطوي بسرعة سيره المنازل، وكيف لا وهو طائر بالفرح ...⁽⁶⁰⁾، ويظهر من خلال هذه الرسالة العلاقة الطيبة التي كانت له مع سلطان المغرب، وأن خروجه كان علانية وبموافقة السلطان وليس متخفيا أو هاربا، وذهب إلى المشرق، وعاش متغربا صانعا لنفسه فيها اسما كبيرا، وبقي في منفاه الاختياري إلى وفاته بمصر، لتنتهي بذلك سيرة سياسي بارع خاض أهوال السياسة بحرا هائجا، فتلاطمت أمواجه على سفينة المقرئ التي سايرها وأحسن قيادتها إلى بر الأمان.

خاتمة:

- لقد كانت رحلة المقرئ إلى المغرب الأقصى مليئة بالأحداث السياسية التي ما كاد له أن يتجاوزها، فكان في مرمى الإعصار في كثير من الوقائع التي فرضت عليه التعامل معها وفق مركزه ومكانته.
- إنّ الاحتكاك الدائم بين أحمد المقرئ والسلطين ومسؤولي الدولة وما ينتمي لفلکهم وحتى من يخرج عنهم ويعارضهم ويثور ضدّ سلطتهم ويتمرد عليها، جعل منه مرمى سهم الاستهداف والتأثير والتأثير .
- لقد تعامل أبو العباس أحمد المقرئ التلمساني مع القضايا السياسية التي وقعت في عصره خلال تواجده في المغرب الأقصى وحواضرها في فاس، بكل دبلوماسية وحنكة ومرونة بينت مدى فهمه ومعرفته الواسعة لأوضاع المغرب وطبيعة الصراع الواقع بها، خاصة صراع العرش عقب وفاة المنصور الذهبي.

- استطاع أحمد المقرري تجاوز محنته في العرائش ومحنته بعدها في فاس بسلام، حيث تمكن من النجاة بنفسه من مساءلة السلطان والأهالي في نفس الوقت، ولم يتورط في القضايا التي استهدفته بشكل مباشر، وحافظ على حياده فيها ولم يتدخل في شؤون البلد الغريب عنه، فنال الاحترام من الجميع خاصة الناس وعامتهم.
- إن الموقف الذي أبداه المقرري في القضايا السياسية التي وقعت له يوضح الدبلوماسية الرصينة التي اتبعتها الدول على غرار السياسة الخارجية للجزائر الحالية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة وقضيتها.

الهوامش والإحالات

- (1) - أحمد المقرري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ج1، 1388هـ/1968م، ص 13.
- (2) - محمد عبد الغني حسن: المقرري صاحب نفح الطيب، الدار القومية، مصر، د ت، ص 12.
- (3) - أحمد المقرري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات المتحدة - الرباط، 1358هـ/1939م، ج1، ص 05.
- (4) - الحبيب الجناحاني: المقرري صاحب نفح الطيب، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1955، ص33
- (5) - أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرري القرشي التلمساني: (928 - 1001هـ / 1522 - 1593م) عم الشيخ أبي العباس أحمد المقرري تولى خطة الإفتاء بتلمسان مدة ستين سنة كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم مدة خمس وأربعين سنة. (ابن مریم التلمساني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان وقف عليه واعتنى به محمد ابن أبو شنب، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبها احمد بن مراد التركي وأخيه، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 104).
- (6) - أحمد المقرري: أزهار الرياض ... مصدر سابق، ج1، ص ص 9 - 10.
- (7) - محمد البشير ظافر الأزهرى: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، طبع بمطبعة الملاحي العباسية التابعة لجمعة العروة الوثقى، مصر، 1324هـ، ص 29 .
- (8) - محمد بن أبي بكر الدلائي ت (1046هـ/1637م): عالم في التفسير والحديث والكلام، ومن أعظم شيوخ "الزاوية الدلائية في المغرب (عادل نويهض: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى

العصر الحاضر»، تق حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1409 هـ / 1988م، ط2، ج2، ص 797.

(9) - محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، الرباط، 1384هـ/1964م، ص 115.

(10) - أحمد بن القاضي ت 1025هـ: من أشهر أعلام المغرب الأقصى فقيه صالح، محدث نحرير، مؤرخ كبير، رحل مرتين إلى المشرق، وقع في الأسر أحد عشر شهرا، حتى اقتاده السلطان المنصور السعدي، اشتهر بنشر العلم والدأب على تدرسه، وانفرد في علم الحساب والفرائض شرقا وغربا له عديد المؤلفات منها (درة الحجال في أسماء الرجال)، (جذوة الاقتباس)، ينظر ترجمته في (ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد أحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة 1391هـ/1981م، ط1، ج1).

(11) - محمد بن قاسم المعروف بالقصار ت 1012 هـ / 1604م: مفتي فاس ومحدث المغرب في وقته أندلسي الأصل، فاسي المولد والمنشأ، وقبره بمراكش، ولي إفتاء فاس وخطابة جامع القرويين، له كتب منها (مناهج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار) ينظر إلى (محمد العربي الفاسي: مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن الجدد، د ت، ص 175).

(12) - أبو القاسم الغساني الفاسي ابن أبي النعيم: ت 1032 هـ من كبار الشيوخ الذين لهم الشهرة والصيت متضلعا في الفنون، ماهرا في المعقول والبيان والتفسير، خطيبا بليغا، حميد السيرة، وكان قاضي الجماعة بفاس، (أحمد المقرئ: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ط2، ص 335).

(13) - أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنيكتي السوداني، أبو العباس: ت 1036 هـ / 1627م، مؤرخ، من أهل تنبكت في إفريقية الغربية، أصله من صنهاجة، من بيت علم وصلاح وكان عالما بالحديث والفقه، عارض احتلال المراكشيين لبلدته (تنبكت) فقبض عليه وعلى أفراد أسرته واقتيد إلى مراكش سنة 1002 هـ، وضاع منه في هذا الحادث 1600 مجلد، وسقط عن ظهر جمل في أثناء رحلته فكسرت ساقه، وظل معتقلا إلى سنة 1004 هـ وأطلق فأقام بمراكش إلى سنة 1014 هـ وأذن له بالعودة إلى وطنه، وتوفي في تنبكت، وكان شديدا في الحق لا يراعي أحدا له عدة تصانيف ومؤلفات أهمها (نيل الابتهاج بتطريز الدباج، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج) الكتب محققة وبها ترجمته: (المقرئ: روضة الآس، ص 303).

- (14) - محمد الصغير الافرائي : صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2004، ط1، ص 143.
- (15) - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ط1، 1980، ص ص 309-310 .
- (16) - محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، القسم الرابع، مطبعة إدارة المعارف بالرباط - (1340 - 1345هـ)، ص 328.
- (17) - محمد الأمين المحي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، 1284هـ، ج 1 ص 302.
- (18) - نفسه، 303/1.
- (19) - الجنحاني : مرجع سابق ، ص 35 .
- (20) - أغمات: قرية تاريخية عريقة تقع جنوب وسط المغرب بالقرب من مراكش بها ضريح المعتمد بن عباد قضى بها بقية أيام عمره هو وزوجه أسيرا، أنظر (معلمة المغرب: ج2، مطابع سلا 2004، ص 539).
- (21) - أحمد المقرئ: زهرة الآس ... مصدر سابق، يب.
- (22) - المنصور الذهبي: 956هـ-1549م / 1012هـ-1603م)، سابع سلاطين الدولة السعدية اشتهر وبوع في معركة وادي المخازن سنة 1578م، حكم 26 سنة وتوسعت دولته الى حدود السودان الغربي وعرفت ازدهارا عسكري واقتصادي وثقافي كانت وفاته نهاية لمرحلة القوة السعدية التي سقطت بعدها على يد العلويين (عبدالرحمن بن زيدان: المتزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقدم وتحقيق عبدالهادي التازي: مطبعة اديال، الدار البيضاء، ط1 1413هـ/1993م).
- (23) - الجنحاني: مرجع سابق، ص 35.
- (24) - أحمد المقرئ: زهرة الآس ... مصدر سابق، يب
- (25) - المحي : مصدر سابق، 303/1.
- (26) - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2014، ط1، ص ص 358-359.
- (27) - محمد صديق خان بن حسن القنوجي البخاري: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1468هـ/2007م، ط1، ص 317.
- (28) - أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، وضع حواشيه وفهرسته أحمد عناية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001، ص 174.

- (29) - أحمد المقرئ: رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1425هـ/2004م، ص 6.
- (30) - علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر المكتبة المرتضوية بإيران، 1324هـ/1906م، ص 606.
- (31) - محمد الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1397هـ/1977م، ط1، ج1، ص 299.
- (32) - محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م، ص 239.
- (33) - محمد صديق خان: مصدر سابق، ص 317.
- (34) - الجنحاني: مرجع سابق، ص 54.
- (35) - الافرائي: مصدر سابق، ص 144.
- (36) - محمد الطيب القادري: التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تح هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1974م، ط1، ج2، ص 95.
- (37) - محمد حجي: مرجع سابق، ص 117.
- (38) - إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية استانبول سنة 1951م، ج1، ص 152.
- (39) - محمد الصغير الافرائي: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1419 هـ / 1998م، ط1، ص 190.
- (40) - نفسه، ص 191.
- (41) - أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1956، ج 6، ص ص 6 - 9.
- (42) - الافرائي: نزهة الحادي .. مصدر سابق، ص 197.
- (43) - نفسه، ص 198.
- (44) - محمد العربي الفاسي: مصدر سابق، ص 124.
- (45) - خير الدين الزركلي: مصدر السابق، ج7، ص 6 / محمد الطيب القادري: مصدر سابق ص ص 69-70.
- (46) - يوسف الحلوي: أبو عبد الله الأغصاوي ... الشيخ الذي أنكر على المأمون تسليم العرائش للعدو أرسل إليه السلطان كتيبة من الجند لقتله، مقال مجلة مغرس، المغرب، نشر في 2014/07/20م
تم رفعه في 2020/06/10م. <https://www.maghress.com/almassae/212035>

- (47) - محمد إدريس طيب: المدرسة الزروقية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012، ص 328.
- (48) - الافرائي: مصدر سابق، ص 199.
- (49) - أحمد المقرئ: زهرة الآس ... مصدر سابق، ص 335.
- (50) - الافرائي: مصدر سابق، ص 198.
- (51) - أحمد المقرئ: الرحلة ... مصدر سابق، ص 7.
- (52) - المحبي: مصدر سابق، ص 303.
- (53) - الافرائي: مصدر سابق، ص 233.
- (54) - عبد الرحمن المودن: البوادي المغربية قبل الاستعمار، منشورات كلية الآداب - الرباط، مطبعة النجاح
الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 366.
- (55) - الجنحاني: مرجع سابق، ص 42.
- (56) - حجي: مرجع سابق، ص 117.
- (57) - عبد الكريم الفككون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم
سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1408هـ/1987م، ص 223.
- (58) - أحمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت
1388هـ/1968م، ج1، ص 27.
- (59) - عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
1426هـ/2005م، ج1، ص 188.
- (60) - أحمد المقرئ: الرحلة ... مصدر سابق، ص ص 51-54.